التنشئة الاجتماعية و الحفاظ على معايير الفصل بين الجنسين في المجتمع
العلاقات العاطفية بين الشباب نموذجا

د/ سيدي موسى ليلى *

ملخص

تعرض المجتمع الجزائري لجملة من التغيرات مست جميع نظمه الاجتماعية، لا سيما الأسرة التي مستها تغيرات عديدة على مستوى الشكل والوظائف، مما جعلها تتخلى عن بعض من وظائفها بحكم هذا التغير، ولأن التنشئة الاجتماعية تبدأ من الأسرة التي تقوم بتحديد القواعد والقيم الاجتماعية الخاصة بالمجتمع وتساندها في ذلك باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية، إلا أننا نرى أنه وفي مجال العلاقات بين الشباب من الجنسين ورغم تأكيد الأسرة من خلال رفض كل علاقة بين الشباب من غير علاقة الزواج، فإننا نلاحظ بروزا وتصاعدا واضحا لهذا النوع من العلاقات سواء تعلق الأمر بعلاقة صداقة أو علاقة عاطفية في فضاءات مختلفة (الدراسة، العمل، الشارع) وبين مختلف الفئات، مما جعلنا نتساءل عن مدى فعالية قيم الفصل بين الجنسين التي حددتها سلفا قيم المجتمع الذي نعيش فيه.

الكلمات المفتاحية: الأسرة؛ التنشئة الاجتماعية؛ الشباب؛ العلاقة العاطفية.

Summary :

The Algerian society is subjected to a variety of changes in all its social systems, especially the family, which has undergone many changes at the level of form and functions, which made them abandon some of its functions by virtue of this change, Because socialization begins with a family that defines the social norms and values of society and is supported by other institutions of socialization, we believe that in the area of relations between young people of both sexes, Despite the confirmation of the family by rejecting any relationship between the young and non-marital relationship, we see a clear emergence and emergence of this type of relationship, whether it is a relationship of

*أستاذة محاضرة "ب"، قسم العلوم الاجتماعية جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر.
sidimoussaleila@yahoo.fr

friendship or romantic relationship in different spaces (study, work, the street), This raises questions about the effectiveness of the values of gender segregation that have already been defined by the values of the society in which we live.

Keywords : family, socialization, youth, emotional relationship

تمهيد

الجماعة هي مصدر المنظومة القيمية التي يتأثر بها الفرد منذ ولادته، وخاصة الأسرة التي تعتبر الفاعل الأساسي في عملية التطبيع الاجتماعي من خلال نقل المعارف والتقاليد الاجتماعية والثقافية، فهي تسهر على تشكيل وتحويل العواطف والانفعالات إلى اتجاهات ومواقف اجتماعية، ويسهر المجتمع على تنفيذها، ذلك أن تماسك المجتمع يتوقف على انسجام قيمه، والتي تسعى إلى الحفاظ على النظام الاجتماعي من خلال تنظيم العلاقة بين الجنسين.

هذا التنظيم نشاهده بوضوح عندما يتعلق الأمر بتنشئة الفرد في مجال الجنسانية، نظرا للمنع والحظر المفروض على التقرب من الجنسانية من خلال التحريم والتكتم والسرية المفروضة عليها ولا يختلف المجتمع الجزائري عن باقي المجتمعات العربية في طريقة تعامله مع الجنسانية، إلا أننا نلاحظ حدوث بعض التغيرات التي مست بعض هياكله نظرا لعدة عوامل ساهمت في حدوث هذا التغيير وخاصة العلاقة بين الجنسين، أو تلك الحدود التي كانت مرسومة من طرف المجتمع للفصل بين الجنسين التي لم تعد واضحة المعالم كما في السابق.

إذ يشهد المجتمع الجزائري جملة من التغيرات على كل المستويات لاسيما على مستوى العلاقات الاجتماعية التي تربط أفراده مع بعضهم البعض، هذا ما يجرنا للحديث عن العلاقات داخل الأسرة، هذه الأخيرة التي تعتبر الوحدة الأساسية لتكوين المجتمع، والتي لم تسلم من الكثير من التغيرات مست حجمها وشكلها، فالأسرة بحكم وجودها في ظروف جديدة تختلف عن التي كانت عليها، تغيرت العلاقات السائدة فيها، فبعدما كانت الأسرة هي المسئول الرئيسي عن عملية تربية أبنائها والمرجع الأساسي لكل ما له صلة بالقيم والتقاليد الاجتماعية، نجد الفرد الآن يتلقى العديد من نماذج التربية أو التنشئة الاجتماعية من جهات مختلفة أصبحت تسهم وتؤثر في طريقة تلقينه بطريقة شبه آلية، مما ساهم إلى حد بعيد في إعادة تشكيل بعض القيم والعادات السائدة في المجتمع، فبعدما كان

الفرد يتلقى معلومات متجانسة –إلى حد ما- من مختلف المؤسسات الاجتماعية، أصبح اليوم يتعرض للعديد من الرسائل والمعلومات التي تختلف فيما بينها إلى حد التناقض أحيانا، مما يجعله في بعض الأحيان يقف موقف الحائر أو التائه في التمثل لقواعد وقيم المجتمع الذي يعيش ضمنه، لا سيما وأن الفرد اليوم أصبح بحكم عمله أو دراسته مجبرا على قضاء جزء كبير من وقته بعيدا عن أهله وأسرته، الشيء الذي يخلق نوعا جديدا من العلاقات مع أفراد الأسرة، ومع المحيطين به.

إن التنشئة الاجتماعية كعملية من العمليات الاجتماعية الأساسية تساهم في الحفاظ على تكامل المجتمع واستقراره واستمراره، وتعمل أيضا على بناء الشخصية الإنسانية وتهيئ الفرد للحياة الاجتماعية كونها عملية تفاعل اجتماعي يكتسب الفرد من خلالها ثقافة وتقاليد وقيم المجتمع، والتي تهدف الحفاظ على استمرار نقل التراث السوسيو ثقافي المتوارث جيلا عن جيل.

هذه التنشئة تسهم فيها أطرافا عديدة، بدء من الأسرة، المدرسة، المسجد، جماعة الرفاق، ووسائل الإعلام، إلا أن أهمها بلا شك هي الأسرة، كونها أول جماعة يحتك بها الفرد لسنوات عديدة من حياته.

1- مفهوم التنشئة الاجتماعية:

تعد عملية التنشئة الاجتماعية من بين أهم العمليات الاجتماعية التي يتعرض لها الفرد عبر دورة حياته ذلك أنها تستمر معه طوال فترة حياته، لأنها تصل الأجيال ببعضها مما يترتب عنه إعادة تشكيل التفاعلات الاجتماعية، وعليه فسوف نحاول التطرق إليها من قبل مجموعة من المفكرين والباحثين على اختلاف تخصصاتهم العلمية والنظرية، لنحاول الوصول إلى معنى يخدم الدراسة، وعليه يمكن أن نبدأ من أصل الكلمة في اللغة العربية، والمشتقة من كلمة نشأ الطفل نشوءً، أي شب وقرب من الإدراك، كما تعني ربى وشبَ، وكل هذه المعني مشتقة من النشأة أو المكان الذي نمى وترعرع فيه الفرد، كأن يقول الفرد نشأت في منطقة كذا، ولذلك نجد أن التنشئة يدخل ضمن معانيها التطبيع الاجتماعي أو الاندماج الاجتماعي من خلال عملية التفاعل الاجتماعي.

سنبدأ تعريف التنشئة الاجتماعية بتعريف لإميل دوركايم Durkheim الذي يرى بأنها الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على تلك التي لم تنضج بعد للحياة الاجتماعي(Durkheim, 1989,p15) وذلك من

خلال إزاحة الجانب البيولوجي من نفسية الطفل لصالح نماذج من السلوك الاجتماعي المنظم(Durkheim, 1989,p105)

كما تعرف "مادلين غرافيتز" (Grawitz,1994,p355) « Grawitz»التنشئة الاجتماعية بأنها: "السيرورة التي يتم من خلالها اندماج الفرد في المجتمع من خلال استبطانه للقيم والمعايير والرموز، ومن خلال تعلمه للثقافة في مجملها بفضل الأسرة، المدرسة وكذلك اللغة..."، أي أن التنشئة الاجتماعية حسب "**Grawitz** " هي أن يتعلم الفرد كل ما له علاقة بالمجتمع، بحيث يصبح الفرد ذائبا في المجتمع.

أما صفوح الأخرس فيرى بأنها « عملية تلقين أعضاء المجتمع الجدد ثقافة المجتمع، ويتم بها اختصار هذا المدى الواسع من الإمكانات السلوكية، إلى عدد محدود من الأنماط السلوكية الواقعية التي يرتضيها المجتمع ويتقبلها، وتمكن الفرد من اكتساب عضويته في المجتمع والبقاء فيه»(صفوح الأخرس،1990، ص 156)، فهي « تعمل على تعليم وترسيخ السلوكات التي يقبلها المجتمع، وتعتبر ذات أهمية في المجتمع، وهي عملية تتم طوال حياة الفرد، وتتغير (تتعدل) حسب فترات حياته» (Ignass,Genissel,1999,p107) فعن طريق التنشئة الاجتماعية يتعلم الفرد « مختلف الأدوار التي يطالب بها، ومختلف قواعد التنظيم التي يتعامل بها مع المجتمع»(Liabes, 1987,p 217).

فالتنشئة عملية هدفها إكساب كل ما يجعل الفرد يندمج في الجماعة التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتمكن الفرد من التكيف مع العادات الموجودة في المجتمع، كما أن هذه العملية تسمح للفرد بتقمص مجموعة من الأدوار التي تحدد سلوكه.وهي « عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي تهدف إلى إكساب الفرد (طفلا، فمراهقا، فراشدا، فشيخا) سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية »(زهران حامد عبد السلام،1981،ص59). فهي عملية مستمرة تبدأ منذ الطفولة إلى غاية مراحل متقدمة من العمر، ذلك أن كل مرحلة عمرية يتواجه فيها الفرد مع مواقف اجتماعية جديدة ومختلفة، وهو مطالب بالتعامل معها تبعا لما يتوافق مع المجتمع، ولأنه لا يملك نماذج لتلك السلوكات، فهو مطالب بإنتاجها وفقا لما يمتلكه من القواعد التي كان قد تعلم أسسها، فعملية التنشئة الاجتماعية تساعد على جعل الفرد قادرا على المشاركة في الحياة

الاجتماعية بطريقة يرتضيها المجتمع، لأنها تعتبر « السياق الذي عن طريقه يندمج الإنسان في ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه، وهي عملية تلقين دائم، فالإنسان يتعلم يوميا الأفكار والمعايير والقيم الموجودة في الجماعات والمجتمع ككل، أين تحصل تنشئته والتي يترجمها إلى سلوكات مطابقة »(Golfin,1972,p120-121)، ذلك أنها تتيح المجال للأفراد بأن ينموا أنفسهم، ويطورا طاقاتهم ويتعلموا ويتكيفوا مع ظروف الحياة المستجدة (غدنز،2001،ص 88)، كما أن بارسونز Parsons يعرفها بأنها عبارة عن عملية تعليم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، فهي عملية تهدف إلى استدخال ثقافة المجتمع في بناء الشخصية.(أبو جادو، 2004،ص 16)

2- طبيعة الأسرة الجزائرية:

الأسرة الجزائرية أسرة عربية ذات طابع إسلامي في جوهرها، لذا يجب التطرق إليها ضمن هذا الإطار، فمعنى كلمة عائلة لغويا نجده يعني فعل الرعاية (pris-en charge) أي رعاية الأشخاص المقيمين ضمنها، فيعول الرجل عياله:« كفاهم معاشهم»(القاموس الجديد،1991،ص 631)، وهو يشير إلى علاقات الإعالة والاعتماد المتبادلة، فكل فرد ينتمي إلى قرابة الأسرة فهو يعتبر من العائلة وعلى أفرادها ضمه إليهم وإعالته، إذ وإلى وقت قريب كان من العار أن يوجد شخص من العائلة دون مأوى وأبناء عمومته لا يعيلونه.

فالأسرة أو العائلة الجزائرية كانت أسرة ممتدة تتكون من عدة أسر تتجمع في مسكن واحد، الذي يشكل الدار الكبيرة عند الحضر، والخيمة عند البدو، وهذه العائلة يمكنها أن « تجمع بين **20** و **60** فردا، أو حتى ثلاثة إلى أربعة أجيال ويمكن للبناء (بناء الدار الكبيرة) أن يبلغ حدودا قصوى، وهي تقوم بدور التماسك الأسري، وأيضا توفير الأمان والمحافظة على الأقارب في وضعية تجمع وتعاون مستمر»(Boutefnouchet,1998,p40). فالمسكن العائلي يتميز باتساعه واحتوائه على عدد كبير من الأفراد، كما أن أهم خاصية في بناء المسكن العائلي هو أنه يتخير في بنائه أن يكون بعيدا عن المارة، ويحاط بسور عال حتى يمنع انتقال الأصوات أو ما يجري داخل الدار، وكذلك ليسهل من عملية انتقال النساء فيه للقيام بأعمالهن بحرية وراحة.

أما عن العلاقات داخل هذه العائلة فهي تقوم على التعاون والتضحية والالتزام الشامل غير المحدود وغير المشروط (بركات،2009،ص235)) كما أن العلاقة الأسرية مبنية على الاختلافات عل أساس السن والجنس وكذا الانتماء القرابي، فالعائلة الجزائرية مثلها مثل العائلة العربية منظمة في بنيتها الأساسية تنظيما هرميا على أساس دونية المرأة والصغار وسيطرة الرجال الكبار، فرئيس العائلة والذي غالبا ما يكون الجد وبعده يأتي الأب، الذي يعتبر القائد الروحي والذي تكون له السلطة الكاملة والمطلقة في اتخاذ القرارات، وإليه ترجع أمور تسيير عائلته، ذلك أن التربية الأسرية « تتجه للحفاظ على سلطة الأكبر سنا وخاصة سلطة الأب»(Boutefnouchet,1998,p76).، فالأب يملك سلطة تزويج من يشاء وفي الوقت الذي يشاءه ويقرره، دون اعتراض أو رفض من أحد .كما أن التفريق بين الجنسين من الأشياء والقواعد التي تقوم عليها الأسرة الجزائرية، إذ أنها وفي سن جد مبكرة تضع الحواجز بين الذكور والإناث؛ إذ « ليس غريبا أن نجد العلاقة بين الذكور والإناث ضعيفة جدا، وهذا منذ الصغر»(Descloitres, Debzi,1965,p3)، إذ يمنع الرجال من التحدث مع النساء أو تجاذب أطراف الحديث فيما بينهم، كما سادت فكرة أنه من « واجب المرأة المحافظة على نقائها الجسدي أولا، والأخلاقي ثانيا، لتحافظ على صورة الأسرة نقية»(Boutefnouchet,1998,p71).، فهي تمثل الحرمة و« النيف»، فالمكانة التي تعطى للعائلات تكون انطلاقا من سمعتها التي تكون وتتكون بنسائها، غير أن وضع المرأة بدأ يتغير بفضل التعليم ومشاركتها في العملية الاقتصادية للمجتمع والأسرة من خلال العمل.

3- الأسرة الجزائرية والتغير الاجتماعي:

من ما لاشك فيه أن الأسرة الجزائرية قد تعرضت لتغيرات عديدة، بدء من حيث الشكل إلى الوظائف والعلاقات الاجتماعية بين أعضائها، وذلك بسبب ظروف داخلية وخارجية، ذلك أن « صورة المجتمع الجزائري تتغير تحت أعيننا بصفة دائمة ومستمرة»(Boutefnouchet, sans date,p7)، فجميع المجتمعات لا يمكنها البقاء على حال واحدة، فكل « التحولات الملاحظة في الزمان والمكان، تمس بطريقة غير مؤقتة البنية وسير التنظيم الاجتماعي لمجموعة معينة وتوجه مسارها التاريخي(Rocher,1998,p326)، وهذه التحولات قد تكون

سريعة أو بطيئة وفقا لعوامل معينة . وتبقى عملية التغير الاجتماعي من أهم العناصر في حياة المجتمعات ذلك أنها تنعكس على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، قد تصل إلى حد هدم أو التشكيك في بعض القيم السائدة في المجتمع، كما قد تبرز قيما جديدة قد تتعارض مع بعض من القيم السائدة في المجتمع(Mendras, Forsé,1983,p15) .

ولا يمكن أن ننفي أن للاستعمار الفرنسي دورا أساسيا في التغير الذي حدث للأسرة الجزائرية، إذ أنه يمثل الظرف المادي الأكثر ظهورا ومشاهدة لتأثيراته، ذلك أنه قام بمحاولة لهدم البناءات الأساسية للمجتمع الجزائري، بدء بتغيير شكل التجمعات التي كان ينتمي إليها الأفراد، فهذا التغير أدى إلى تضييق العلاقات الاجتماعية، مما أدى إلى « انهيار القرابة الاجتماعية والجماعية، وارتفعت قيمة القرابة الفردية، القرابة الدموية المباشرة» (عدي الهواري،1983،ص123)، فقد تغيرت الأسرة الجزائرية عما كانت قبل الاستعمار وأثناءه وكذلك بعده، إذ أصبح « المجتمع الجزائري يتميز نظامه بعد الاستقلال بمجموعة من المركبات والتي تعتبر منعرجات هامة، وهي التحضر المكثف والسريع، العمل المأجور كنمط اقتصادي جديد، تعميم التعليم كقاعدة ثقافية جديدة(...)، وأصبح التحضر المؤشر الأكثر أهمية في تحديد مجموع التحولات الاجتماعية الملاحظة في الجزائر المستقلة»(Boutefnouchet,sans date,p23)،هذا التحضر الذي سوف يؤدي إلى « انتشار نماذج للسلوك والاستهلاك وتمثيلات اجتماعية شاملة مسيطرة تتحول بالتدريج إلى معايير».(عدي الهواري،1983،ص234)

إن المجتمع الجزائري بعد الاستقلال تغير كثيرا وبعمق بسبب اللجوء إلى عملية التحضر لمجموعة كبيرة من أفراد المجتمع (Addi,1999,p147)، فلم تعد المدن خاصة بأقلية من الأفراد كما كان في السابق، وبذلك بدأت عملية « إعادة توزيع كامل للأدوار والوظائف الاجتماعية والعائلية»(بوتفنوشت،1987،ص2). فقد ظهر تغير واضح وسريع في شكل الأسرة الجزائرية، من الشكل الممتد إلى الشكل النووي « الذي يتميز بكثرة الإنجاب، .... مع بقائها محتفظة في كثير من الأحيان بوظائف الأسرة الممتدة» (السويدي،1990،ص89)، ذلك أن تغير شكل وحجم الأسرة الجزائرية كان نتيجة لظروف مادية أكثر منه لظروف اجتماعية، فالانقسام والتغير في نوع الأسرة كان نتيجة لضيق المسكن الذي لم يعد بإمكان الأسرة أن توسعه لعدم امتلاكها للأرض كما كان في

السابق، بالإضافة إلى تعميم التعليم لكل الفئات لا سيما الإناث، مما سمح لهن بالخروج والحصول على فرص أكبر للعمل وتغيير وضعيتهن، مما ساعد على تغيير العلاقات داخل الأسرة، وربما أول تغيير يمكن ملاحظته هو ما يتعلق بسلطة الأب، والتي وإن بقيت قائمة فإن شدتها قد تغيرت من سلطة مطلقة إلى سلطة يمكن التحدث والتناقش حولها « فإذا كان الرجل ما زال رئيس الأسرة، فإن هذه الرئاسة لم تعد بنفس التسلط والعنف الذي كانت في الأسرة الممتدة التقليدية» (الخولي،1982،ص89). كما أن الطفل في الأسرة الحديثة « تحول من مجرد كونه شيء خاص بوالديه فقط إلى كونه فرد في المجتمع كما أن أشكال التضامن القديمة أو التقليدية لا تزال تؤثر وتلعب دورا هاما في البنى والهياكل الأكثر حداثة (حمدوش،2009،ص266).

يمكن القول أن التغير الحاصل في الأسرة الجزائرية سواء كان من حيث حجمها أو وظائفها أو علاقاتها، لا يمكن إرجاعه إلى عامل دون آخر، « فالسبب الرئيسي يرجع بالدرجة الأولى إلى آليات وميكانيزمات، تتكون داخل المجتمع موضوع الدراسة، متأثرا بالثقافة السائدة وبالنظم والضوابط والقيم، وسبل وأنماط العيش، والسياسة التي تستخلص من تاريخ وحضارة في زمان ومكان ودين، وتترجم على شكل ممارسات في ظروف موضوعية» (أقشي،2000،ص260).

4-التفريق بين الجنسين في الأسرة الجزائرية:

تقوم التربية الأسرية في الأسرة الجزائرية على التفريق بين الجنسين فالذكر يبقى أحسن مكانة من المرأة، لأنه يمثل القوة والحامل لاسمها، والمرأة تشكل قوة خطرة يجب ردعها، فحسب "نفيسة زردومي" أن التفريق بين الجنسين يقوم على أنه لا يجب على المرأة أن تخرج إلى الشارع لوحدها، ولا أن تكلم غريبا، ولا أن تنزع الستار عن وجهها ولا أن يراها رجل غريب، أو أن تظهر عارية اليدين، أو أن تتزين أمام رجل، في حين أن الرجل يمنع أن يسلم على المرأة أو أن يكلمها أو أن يُلمِح لها بحبه(Zerdoumi,1982,p263) هكذا فالأنثى في الأسرة الجزائرية تفرض عليها قيود كبيرة وفروقا أكبر ببنها وبين الذكر بدء من منعها من الخروج إلى الشارع « فبقاء المرأة في الداخل مدعم ومحكوم بعنف من الرجال الذين مكانهم في الخارج ...وهدفهم هو الحفاظ على الانسجام الذي يضمن حياة المجموعتين»(Medhar,1992,p57)، فهي تبقى في البيت لضعفها

النفسي والجسدي ولسهولة انقيادها وانصياعها فلذلك فهي تشكل خطرا فجسمها يعتبر عيبا Tabou (Medhar,1992,p55)، كما تتعلم الأنثى كيف تطيع وترضخ لرغبات أخيها حتى ولو كان اصغر منها فهو الرجل ويعلم هو كذلك انه توجب طاعته « يتعلم الصبي بسرعة جعل أخواته تحت تصرفه وتضمن له أمه ذلك فكل رغباته مجابة » (Naaman Gessous,1999,p17)، كما تتعلم منذ صغرها القيام بالأعمال المنزلية وتتعلم المحافظة على جسدها وخاصة على شرفها وتتحمل الأم مسؤولية تربية الأنثى « فتقوم الأم بتعليم ابنتها الانصياع والخضوع مجبرة وقهر شخصيتها وكسر كل يقضة للتحرر»(Lacoste Dujardin,1990,p71)، كما تعمل على تعليمها بأنها في خطر كلما كبرت في السن وأنها أيضا تمثل خطرا، وبهذه الطريقة تجبر الأم الأنثى ابنتها على قبول وضعها الذي تعيشه إلى أن يحين موعد زواجها أين تتغير وضعيتها والى أن يحين ذلك الموعد تصبح الأنثى تحت مراقبة صارمة خاصة بعد ظهور الحيض لديها، ومنذ هذه اللحظة يبدأ التحذير المتكرر وبكل الأشكال تحذير الأنثى من أن يقترب منها أي رجل دون تحديد لهذا الاقتراب ونوعه فتتعلم أن تحفظ نفسها من أجل رجل هو زوجها والذي يعتبر العذرية حق من حقوقه فالعذرية وضعت تحت مراقبة اجتماعية صارمة (Lacoste Dujardin,1990,pp72,73)،، فالعذرية التي تحملها الفتاة لا تعتبر شيء خاص بها إنما تعبر عن نظام القيم(Zemmour,2002,p67)، المجتمعية الذي يوجب على الجميع حمايتها، ولأنها تحذر من كل شيء له علاقة بالجنس فهي تنشأ على ذلك إلي غاية زواجها وتبقى متأثرة به وفي الغالب زواجها هذا تبقى الوحيدة التي يكون من يعلم فغالبا ما ينسى أن يؤخذ برأيها في الموضوع وفي هذه اللحظة تتكفل إحدى قريباتها العمة أو الخالة أو الأخت الكبرى بإخبارها عن كل ما كان ممنوعا عنها طوال حياتها وتبدأ بإخبارها عن العلاقة الجنسية وكيف تحدث « ولكن هناك درس واحد وأساسي يعطى لها من طرف المحيطات بها وهو عدم الفاعلية أي عدم المشاركة الإيجابية في العملية الجنسية passivité»(Zemmour,2002,p77)، إذ ليس من اللائق أن تحس المرأة بأي إحساس وهكذا تعود وتتكرر سيطرة الرجل على المرأة وبفضل المرأة نفسها فالمرأة يجب عليها الخضوع « فكل فعل منها يؤدي إلى علاقة مع زوجها يعتبر غير لائق فمثل هذا السلوك لا تقوم به إلا البغايا أو الزانيات»(Zemmour,2002,p145)ونجد الكثير من الأمثال والحكم

الشعبية تتحدث عن هذا الأمر، (أفرفار،1983)ولا يتحقق نقاء المرأة وطهارتها إلا بعد فض البكارة التي هي موضوع امتحان أمام الجماعة(بوحديبة،241،2000)، وهكذا نجد المرأة تعيش تناقضا اجتماعيا فهي يجب أن تكون عفيفة طاهرة لا تحس ولا تشعر بالجنس ولكن يجب عليها أن تكون مطيعة لزوجها وترضيه، فجسدها عورة، يجب إخفاؤه بمقاييس الأخلاق ومباح بمقاييس الزواج. (الكيال،388،1983)وهذا وإن كان المجتمع والأسرة لا يفرضان مراقبة صارمة على جنس الرجل وحياته الجنسية كما يفرضها على المرأة، لكنه مع ذلك يجد كل الضغوطات موجهة نحوه ليلة الزفاف، من حيث أنه مطالب بإثبات رجولته أمام الجميع، « فليلة الزفاف هي المناسبة التي يختبر فيها الرجل رجولته»(الكيال،240،1983).

هذا ما تحاول التربية الأسرية أن تجعل عليه أفرادها في الأسرة الجزائرية، من حيث أن الجنس شيء خاص بالكبار، والذين هم مقبلون على الزواج دون غيرهم، ومع حدوث تغيرات اجتماعية في المجتمع الجزائري وخاصة من حيث مجال الاتصالات فيما بين الأفراد واتساع دائرتها، وبعد خروج المرأة للدراسة ثم العمل، وبعد ظهور وسائل الإعلام التي أصبحت تلعب دورا كبيرا في نقل المعلومات، وأيضا على إعطاء نوع من الثقافة الجنسية، يمكننا أن نتساءل عن مدى نجاح هذه التربية الأسرية التقليدية في ترسيخ المفاهيم والمعتقدات الخاصة بها.

منهجية الدراسة:

لهذا الغرض قمنا بدراسة ميدانية عن طريق الاستمارة على عينة متكونة من 500 مفردة من الشباب الجامعي من الجنسين من جامعة مستغانم والذين تم اختيارهم من جميع المستويات الدراسية وكل التخصصات العلمية الموجودة عن طريق العينة الحصصية وهي نوع من أنواع المعاينة غير الاحتمالية والتي تعتمد على إعادة إنتاج بعض مميزات مجتمع البحث(أنجرس،312،2006) وهذا تطلب منا الحصول قاعدة سبر أو قاعدة رقمية لمعطيات المجتمع المبحوث من طرف جامعة مستغانم، وقد قمنا باحترام قاعدة الحصص حتى نكون أحرارا في اختيار أفراد مجتمع البحث، وعليه فإن عملية الفرز للعناصر المكونة للعينة كانت عن طريق اختيار عناصر مشابهة لمجتمع البحث.

أما عن الاستمارة التي تشكلت أسئلتها من محاور متعددة بغرض محاولة فهم هل يمكن للتنشئة الاجتماعية المحافظة على المعايير

الاجتماعية والقواعد الخاصة بقيم الفصل بين الجنسين في ظل التغيرات التي مست المجتمع الجزائري،أم أنها فشلت في بعض منها وبقيت محافظة على قيم وقواعد أخرى؟. ولذلك فإن هذه الورقة سنناقش من خلالها الأسئلة الخاصة بإمكانية وجود الصداقة بين الجنسين، وكذا إمكانية وجود علاقة عاطفية بين الجنسين، وإمكانية وجود بعض السلوكات التي تنشأ خلال هذه العلاقة العاطفية، وتأثير هذه السلوكات على بعض مواقف وآراء الشباب حول العلاقة في حد ذاتها.

وقد كان سن الشباب الذين شكلوا عينتنا بين 19 و34 سنة من كلا الجنسين، علما بأن غالبية الشباب(84%)كان سنهم يتراوح بين 19-24 سنة، بمتوسط سن 22.5 لكلا الجنسين، وأن 68% منهم يدرسون ضمن مرحلة التدرج.

ولنبين كيف حدث تغير على مستوى العلاقات بين الشباب من الجنسين فقد تناولنا مجال الصداقة الذي أصبح واضحا للعيان بحكم متغيرات جديدة كتمدرس الفتاة ودخولها مجال العمل، بالإضافة إلى طول فترة التمدرس للجنسين مما يجعل مجال اللقاء ممكنا بين الجنسين وبالتالي يؤسس لظهور علاقات جديدة لم تكن موجودة مسبقا، ويجب أن نفرق بين الزمالة، التي تعني الرفيق في الدراسة أو العمل والصداقة تتطلب أكثر من الرفقة بل وحتى التشارك في أمور أكثر خصوصية.

وعليه فقد كانت إجابة المبحوثين كالتالي :

جدول رقم 01 يبين الصداقة بين الجنسين

الجنس / صداقتك مكونة من	ذكر	أنثى	المجموع
ذكور	81 %34	25 %10	106 %21
إناث	8 %3	106 %40	114 %23
الاثنين معا	149 **%63**	131 **%50**	280 %56
المجموع	238	262	500

	%100	%100	%100

ما يلاحظ من خلال الجدول أن 63% من الذكور و 50 % من الإناث صداقاتهم مكونة من الجنسين أي من الذكور والإناث، وقد يبدو الأمر مقبولا نوعا ما بالنسبة للذكور، نظرا للثقافة المجتمعية التقليدية التي تتسامح إلى حد كبير مع سلوكات الذكور مقارنة بسلوك الفتيات اللواتي يفرض عليهن مراقبة صارمة، ونتائج هذا الجدول تبين أن هناك اختلافا بين ما يتلقاه الشباب من تعليمات في الصغر عن ضرورة عدم اللقاء والتقارب مع الطرف الآخر، في حين أن العكس يحدث عند غياب مؤسسات الضبط الاجتماعي.ولهذا حاولنا أن نتعرف على نوع الصداقة االتي تنشأ بين الشباب من خلال الجدول التالي

جدول رقم 02 يبين نوع الصديق المقرب

الجنس / صديقك المقرب	ذكر	أنثى	المجموع
ذكر	167 %70.2	47 %17.9	214 % 42،8
أنثى	44 % 18.5	177 % 67.5	221 %44،2
ليس لي صديق مقرب	27 %11.3	38 %14.5	65 %13
المجموع	238 %100	262 %100	500 %100

قد يبدو للوهلة الأولى أن كل جنس لديه صديق مقرب من نفس جنسه، وهذا صحيح بدليل أن 70.2% من الذكور و67.5% من الإناث لديهم صديق مقرب من نفس جنسهم، لكننا لن نركز على هذه النسب الكبيرة لأننا نريد أن نركز على التغير الموجود والذي ظهر من خلال هذا الجدول، فنجد أن 17.8% من الذكور صديقهم المقرب هو أنثى و 18.5 % من الإناث صديقهن المقرب هو ذكر، وهذا يدل على وجود تغير كبير على مستوى العلاقات بين الشباب من حيث تجاوز ممنوع اجتماعي لطالما أكدت عليه الأسرة من خلال مختلف أساليب التنشئة التي تقوم بها. وعليه فسوف نرى التغير الذي حدث على مستوى العلاقات بين الجنسين.

جدول رقم 03 العلاقة العاطفية بين الجنسين

الجنس / هل لديك علاقة عاطفية	ذكور	إناث	المجموع
نعم	156 %65،5	190 %72،5	346 69،2 %
لا	82 %34،5	72 %.27.5	154 30،8 %
المجموع	238 %100	262 %100	500 100 %

ما يلاحظ من خلال تصريحات المبحوثين ومن مجموع كلا الجنسين أن 69.2% من الشباب لديهم علاقة عاطفية، أي أن ثلثي الأفراد من الإناث هن في علاقة عاطفية، وهذا يعتبر تحول كبير ليس على مستوى العلاقات فقط وإنا على مستوى القدرة وعدم الخوف من التصريح بالعلاقة، على عكس ما كان سائدا فيما سبق، فلم يكن من السهل على الفتيات التصريح بعلاقاتهن للحياء أو الخوف من أن تمس سمعتهن، وأن يتحدث عنهن بسوء، لكن العكس يحدث، وكأن الأمر يدعو إلى الافتخار بأن الفتاة على علاقة عاطفية.

جدول رقم04 إمكانية وجود علاقة جنسية بين الشباب بنية الزواج

الجنس / هل أنت مع وجود علاقة جنسية بنية الزواج	ذكور	إناث	المجموع
نعم	75 %31،5	129 %49،2	204 40،8 %
لا	163 %68،5	133 %50،8	296 59،2 %
المجموع	238 %100	262 %100	500 100 %

ومما يثير الانتباه في هذا الجدول أنه على مستوى التفكير أن 40.8% من الشباب من الجنسين أي (49.2% من مجموع الإناث و 31.5 %من مجموع الذكور) لا مانع لديهم من وجود علاقة جنسية بين الشباب الذين لديهم علاقة عاطفية في حالة الاتفاق على الزواج، وهذا الأمر يعبر حقيقة على وجود تغير كبير في فكر الشباب، من حيث قيم الفصل بين الجنسين والحدود التي وضعت، ويبدو أن الفتيات أكثر قبولا لهذا الأمر من الذكور بنسبة 17.7% وهذا تغير يحتاج إلى تحليل عميق ودراسة عن أسباب هذا الموقف.

جدول رقم 05 يبين محاولة القيام بعلاقة جنسية حسب الجنس

الجنس / هل حاولت القيام بعلاقة جنسية	ذكور	إناث	المجموع
نعم	159 %66،8	101 38،5 %	260 %52
لا	79 %33،2	161 61،5 %	240 %48
المجموع	238 %100	262 100 %	500 %100

هذا الجدول يبين لنا مدى الاختلاف الكبير بين الذكور والإناث في محاولة القيام بعلاقة جنسية، فبينما نجد أن 66.8% من الذكور يصرحون بمحاولتهم القيام بعلاقة جنسية، نجد أن 38.5% من الإناث يصرحن بمحاولتهن القيام بعلاقة جنسية، ويمكن أن يفسر هذا الاختلاف بين الذكور والإناث إلى الفارق الموجود بين مكانة كل من الذكر والأنثى في المجتمع،فالمرأة مطالبة بتقديم دليل طهارتها عن طريق المحافظة على العذرية على عكس الرجل،فهناك كما يعبر عنه فوكو في كتابة تاريخ الجنسانية، أن هناك قوة تمنع الأفراد من اختراق الممنوع اجتماعيا حتى وإن تمتعوا بنوع من الحرية، فالسلطة هي فعل على الأفعال، فالسلطة حسب فوكو تتغلغل حتى داخل الحرية من خلال الأحكام التي نحملها حول أنفسنا وعن الآخرين وحتى في تقيدنا وانضباطنا بالمعايير التي نظن أننا قد تجاوزناها، وعليه فإننا لا زلنا نعيش ضمن قيم وقواعد سابقة فرغم التغير

الـذي حـدث فـي المجتمـع الجزائـري والامتيـازات التـي تحصـلت عليهـا المـرأة مـن خـلال التعلـيم والعمـل، إلا أنهـا تبقـى دون مكانـة الرجـل، الـذي لا يحاسـبه المجتمـع علـى كـل سـلوكاته عكـس الأنثـى، خاصـة أن هـذه الأخيـرة تمثـل شـرف الأسـرة الـذي هـي مطالبـة بالحفـاظ عليـه. وهـذا مطلـب نجـده واضـحا فـي كل الدراسات التي تتحدث عن مكانة المرأة،وهذا ما يفسر الجدول التالي

جدول رقم06 يبين ضرورة المحافظة على العذرية

الجنس / المحافظة على العذرية ضرورية للزواج	ذكور	إناث	المجموع
نعم	216 90،8 %	256 97،7 %	472 %94،4
لا	22 %9،2	06 %2،3	28 %5،6
المجموع	238 %100	262 %100	500 %100

هـذا الجـدول يبـين لنـا مـدى الاخـتلاف بـين المفكـر فيـه والفعـل الممـارس، فبينمـا نجـد أن مـا يقـارب 95% مـن الشـباب مـن الجنسـين يؤكـدون علـى ضـرورة المحافظـة علـى العذريـة التـي هـي شـرط أساسـي للـزواج، فهنـا نعـود ونتـذكر أنـه حتـى وإن وجـدت علاقـات عاطفيـة وحتـى جنسـية فـي بعـض الأحيـان إلا أن الشـباب يتـذكرون فـي آخـر الأمـر أن العذريـة شـرط أساسـي للـزواج كمـا عبـر عـن ذلـك العديـد مـن البـاحثين(Zemmour,2002,). والملفـت للنظـر أن نفـس هـؤلاء الشـباب يصـرحون بـرغبتهم بالحصـول علـى علاقـة جنسـية مـا قبـل زواجيـة ويصـرون علـى ضـرورة العذريـة، ممـا يجعلنـا نتسـاءل عـن إمكانيـة تحقيـق المطلبـين إذ أن المنطـق يقـول بانتفـاء أحـدهما عنـد حصـول الآخـر، ولكـن مـع ذلـك هـذا يجعلنـا نستشـف آثـار التنشـئة التـي يؤكـد علـى ضرورة الطهارة الجسدية المنشودة.

خاتمة :

نخـتم هـذا العمـل باسـتنتاج عـام وهـو فشـل التنشـئة الأسـرية فـي المحافظـة علـى معـايير الفصـل بـين الجنسـين، وذلـك بسـبب أن العلاقـات العاطفيـة أصـبحت موجـودة بـين كـل فئـات الشـباب، بـل أكثـر مـن ذلـك نجـد تسـامحا مـن المجتمـع علـى وجـود هـا بـين الشـباب، مـن خـلال الصـمت وعـدم

الاستنكار على عكس ما كان موجودا من قبل من حيث الصرامة في المراقبة لهذا النوع من العلاقات التي كانت من غير المقبول التحدث عنها أو حتى التفكير فيها، وهذا ما يشابه التساؤل الذي وضعه Giddens كيف تحولت الجنسانية من ميدان مخفي وخاص، ويمارس عليه الرقابة والضبط والقهر الاجتماعي إلى مسألة عامة أو عمومية(Giddens,2004) بحيث أن الجنس والخصوصية (L'intimité) أصبحت معروضة أو اكتسحت الساحة الاجتماعية. إذ أصبحت الجنسانية مجال يبحث الفرد من خلاله عن هويته، فالشباب في الوقت الراهن يتحدثون عن علاقات عاطفية متعددة خلال مراحلهم الحياتية، وبالتالي ليست كل علاقة عاطفية هي علاقة تنتهي بالزواج، خاصة إذا علمنا أن هذه العلاقات تحدث خلال مراحل مختلفة، تسبق بكثير مرحلة القدرة المادية على الزواج وبناء أسرة، حتى أن الشباب أنفسهم يعتبرون هذه العلاقة غير جدية نظرا للظروف الاجتماعية التي تواجههم والتي تمنعهم من الزواج.

حتى وإن اعتمدنا مبدأ الفشل الذي تعانيه التنشئة الأسرية التي لا تستطيع لوحدها تحمل عبء مراقبة سلوك أبنائها فإننا لا نغفل دور باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية في عدم القيام بمساعدة الأسرة، بل على العكس من ذلك فبعضها يقوم بتشجيع هذا التقارب خاصة من خلال وسائل الاتصال الجماهيري والوسائط الاجتماعية التي أصبحت تفرض قيما جديدة تتعارض في أحيان كثيرة مع قيم المجتمع الجزائري، بالإضافة إلى عدم وجود حديث أو تواصل بين أفراد الأسرة الواحدة حول ما يواجه الأفراد من أوضاع جديدة بسبب إما انهماك الوالدين في العمل أو عدم قدرتهم على مواجهة أبنائهم والحديث معهم عن ما يحدث لهم من مواقف لم يألفوها هم أنفسهم، وبالتالي في غياب أي طرف يمكنه أن يقوم بعملية التوعية في مجال الجنسانية يبقى الأفراد يتعاملون مع واقعهم حسب الموقف الذي يتعرضون له، كما أنه من الضروري العمل على إيجاد تربية إعلامية يكون الهدف من ورائها إعلام المتعاملين مع وسائلها أنه ليس ما يشاهد أو يسمع هو الحقيقة بحد ذاتها ولا يجب العمل بها وتصديقها مباشرة بل يجب تعلم الشك والتحقق من مصداقيتها، فمثلا هذه المسلسلات التركية أو المكسيكية أو حتى الخليجية التي تعرض لنا قصص الحب والعلاقات العاطفية بين الشباب في صور تكاد تكون مثالية خاصة من الجانب المادي، تجعل من الشباب خاصة الفتيات يبحثن دائما عن تلك الصورة النمطية لذلك الشاب الوسيم الغني الذي تتنافس الفتيات من أجل الحصول

على وده والقفز فوق كل المعايير الاجتماعية من أجل الحصول عليه، ومن جهة أخرى نجد أن الشباب الذكور يترسخ لديهم فكرة مؤداها أنهم لكي يمكنهم الحصول على قبول من طرف الإناث أن يكون لديهم نفس الوضع الاجتماعي لما هو معروض وهذا أمر معاكس للواقع الاجتماعي ولا يعكسه على الإطلاق، فيصبح الشباب يعيش ضمن عالم افتراضي .

قائمة المراجع:

- أبو جادو صالح محمد، 2004،سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 4.
- أفرفار علي، 1996،صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني. بيروت: دار الطليعة، ط 1.[1]
- الأخرس محمد صفوح، 1990،علم اجتماع العائلة، بيروت: مطبعة طبرين.
- الخولي سناء، 1982،الزواج والعلاقات الأسرية، بيروت: دار النهضة العربية، ط 2.
- السويدي محمد، 1990، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الكيال باسمة، 1983، سيكولوجية المرأة، بيروت : مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
- بوتفنوشت مصطفى،1987، مراحل تكون البنية الاجتماعية في الجزائر، بحث في علم الاجتماع، المجلة السنوية لمعهد علم الاجتماع، رقم 3 خاص، التغيرات الاجتماعية في لجزائر منذ الاستقلال (أعمال الملتقى الوطني لعلم الاجتماع الجزائر، 28-29-30أفريل 1986)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (-1 8).
-بوحديبة عبد الوهاب، 2000، الجنسانية في الإسلام، (تر: محمد علي مقلد)، تونس: سراس للنشر.
- حليم بركات،2009، المجتمع العربي المعاصر: بحث في تغير الأحوال والعلاقات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط2.
-حمدوش رشيد، 2009، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة: امتدادية أم قطيعة؟، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
- زهران حامد عبد السلام، 1981، علم النفس الاجتماعي، بيروت : دار الأنهار للنشر.

- صيفي أقشي،2000، تحليلات سوسيولوجية حول التغير والتحول الأسري، بحث في التواصل، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 06، جوان، عنابة.
-عدي الهواري، 1983،الاستعمار الفرنسي في الجزائر: سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1960، (تر: جوزيف عبد الله)، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر، ط.
- غدنز أنتوني، 2001،،علم الاجتماع:مع مدخلات عربية، (تر:فايز الصباغ)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،ط 4.
- القاموس الجديد للطلاب،1991 الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- Addi (L), 1999, Les mutations de la société Algérienne : famille et lien social dans l'Algérie contemporaine. Paris : édition Découverte.
Boutefnouchet (M), sans date. Système social et changement social en Algérie, Alger : O.P.U,
Descloitres (R), Debzi (L), 1965, Système de parenté et structures familiales en Algérie, Aix en Provence: CASHA.
- Durkheim (E), 1989, Education et société. Paris : P.U.F.
- Golfin (J),1972, Les 50 mots clés de la sociologie, Toulouse : Edt Privat.
- GRAWITZ (M).1994, Lexique des sciences sociales. Paris: Dalloz. 6em edt.
- Ignass (G), Genissel (M), 1999, Introduction à la sociologie ; Paris : Ellipses, 2 eme Ed .
- Medhar (S),1992, Tradition contre développement, Alger: E.N.A.P.
- Mendras (H), Forsé (M),1983, Le changement social : Tendance et Paradigme, Paris: Armand colin.
- Naaman Guessous (S),1999, Au-delà de toute pudeur, la sexualité féminine au Maroc, Maroc : EDDIF, 4éme .Édit.
- Lacoste Dujardin (C),1990, Des mères contre des femmes, maternité et patriarcat au Maghreb, Alger: Bouchène.
- Liabes (Dj),1987, « Contradictions sociales ou crise de socialisation, contribution à un débat », in Revue de sociologie, N 3 ;Spécial, Alger.
- Rocher (G),1968, Introduction à la sociologie : Le changement social, Parie: H.M.H.
- Zemmour (Z),2002, Jeune fille, famille et virginité : approche anthropologique de la tradition. In Confluence Méditerranée. Algérie,

n°2 printemps, «Sexualité et sociétés arabe», Alger, Paris, Marsa,, L'Harmattan,. (67-78),

- Zerdoumi Nafissa,1982, L'enfant d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel Algérien, Paris : François Maspero.